

إتيقا الحرب العادلة وإكراهات التهديد النووي

* الباحثة: عشاب فطيمة الزهرة

** المشرف: أ.د. خليفي بشير

الإرسال:	2018/07/03	القبول:	2018/09/24	النشر:	2018/12/22
----------	------------	---------	------------	--------	------------

الملخص باللغة العربية:

يهدف موضوع إتيقا الحرب العادلة وإكراهات التهديد النووي إلى البحث في مبررات الحرب العادلة من عدمها، ومن جهة أخرى في انعكاسات التهديدات النووية في ظل الاختلاف الحاصل من جراء استخدام الأسلحة النووية. خصوصا وأن عناء البشرية جراء ويلات الحروب وما خلفته من عنف ودمار جعلها تفكر بحكمة وروية في ترسيخ وبناء أسس إتيقية تتناول الموضوع من زاوية فلسفية هادئة تنظر إلى الإنسان بوصفه منطلق ومقصد الوجود، حيث يتمظهر الجانب الإتيقي في كشف الجدل الدائر بين الأخلاقيات وإمكانات تبرير الحرب العادلة التي قد تجد تبريرا لها حين محاربة الشر المحض أو أثناء تحرر مجتمع معين من مستعمر غاشم، وذلك بغية تجسيد مقصد العيش المشترك في ظل تفعيل مستمر لمتطلبات السلام الدائم.

كلمات مفتاحية: الحرب، الحرب العادلة، التهديد النووي، السلام الكوني، الإنسانية، الإتيقا.

* - طالبة دكتورالية، تخصص: الأخلاق التطبيقية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، مخبر تطوير للبحث في

العلوم الاجتماعية، جامعة د. مولاي الطاهر، سعيدة، البريد الإلكتروني: [achaphilisphe88(at)gmail.com].

** - قسم الفلسفة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة معسكر، مخبر البحوث التاريخية والاجتماعية،

البريد الإلكتروني: [bachir.khelifi(at)univ-mascara.dz].

ملخص باللغة الإنجليزية:

Abstract: The Main objective of behind the subject of the just war and nuclear threat is to examine the justifications of the just war besides the consequences of nuclear threats in light of the differences in the use of nuclear weapons between supporters and opponents. Especially that the suffering of humanity from of the scourge of wars urged the philosophers to rethink about the necessity for ethical foundations that deal with the subject from a philosophical perspective that considers man as the origin and purpose of existence. Taking in consideration the possibilities to justify the just war when fighting pure evil or during the liberation from the colonization; in order to reach a social co-existence in the light of a continuous activation of the requirements of lasting peace.

Keywords: war, just war, nuclear threat, global peace, humanity, tyranny.

مقدمة:

شكّل الحديث عن أخلاقيات الحرب محورا مركزيا في بلورة النزاعات الصراعات في عالمنا المعاصر، ورسم ملامح العنف الذي أخذ أشكالا متعددة وتأسس على مبررات مختلفة، وفق رغبات منها ما هو فردي أو دولي لتترسخ النظرية الدارونية المؤسسة على فكرة الانتقاء الطبيعي والبقاء للأقوى، الأمر الذي أسس لصعوبة تجاوز هذه الرؤى المعاصرة في التصور والتبرير، من منطلق السعي الحثيث لانجاز تمثلات إنسانية تسعى جاهدة لتجاوز أشكال العنف المقتن، خصوصا وأن "عالم اليوم قد اختلف جذريا عما كان عليه في الماضي، وعلى هذا فإن جميع الدول مدعوة اليوم لبناء تنظيم دولي جديد؛ يأخذ على عاتقه التعبير عن إرادة الشعوب، وأن يقوم على أساس ومبادئ عادلة بعيدة عن النزاعات الاستعمارية ودعاة الحروب، فالحرب والسلام، والحقوق الإنسانية والأسلحة النووية، وانضمام بعض الدول للأخرى، وانشقاق دول

أخرى، المنظمات والهيئات الدولية، الدين وتأثيره السياسي، العرق والعنصرية في العالم تلك هي معظم المشكلات السياسية والمعنوية التي يواجهها الجنس البشري؟¹

بناءً على ما سبق، بدأت تتجاذبنا رؤى إيتيقية تبنت في ضوء رغبة حثيثة لبث أفكار عن السلام العالمي على خطى أسلافنا الفلاسفة بدءاً من **كانط** ورغبته الملحاحة في سلام كوني دائم، يحركنا في ذلك التساؤل المعرفي التالي: هل يمكن رسم ملامح مستقبل سلام عالمي من منظور إيتيقا الحرب العادلة؟

مفهوما الحرب والحرب العادلة:

ما الحرب؟ من المفروض أن تتأسس كل دراسة تروم الفهم والإفهام بالإخبار عن الماهية، أي تجلية وتوضيح المفاهيم. ظاهرياً يبدو هذا بديهياً في مسألة الحرب عندما تلتقي الجيوش ويموت الناس، لكن هذا يحدث أيضاً في الحروب والنزاعات الأهلية، لهذا السبب يميز القانون الدولي بين الحرب الأهلية التي يدور رحاها بين طرفين أو أطراف من دولة واحدة، والحرب بين الدول التي يصفها القانون بأنها منازعة معلنة ومفتوحة بين دولتين مستقلتين والتي تشنها حكوماتها²

تعد الحرب قضية محورية للنقاش الإيتيقي في الوقت الراهن، ضمن هذا السياق وقبل التأسيس التأسيسي الفعلي للحرب بوصفها دراسة فكرية لا بد من البحث عن مفهومها من بين مختلف المفاهيم القريبة منها والتي تتجاوز معناها، فالحرب كمفهوم سياسي يبدو أنها تعبر عن نوع من الممارسات السياسية العسكرية والتي في حقيقتها تجسد نوعاً من العنف الذي ينشأ بين الدول.

"إن الحرب ظاهرة حاضرة بشكل فعلي ضمن سياق الأحداث السياسية للفلاسفة من عصور ما قبل الميلاد وما بعده، لأن الحرب أداة سياسية تكشف القلق السياسي إزاء أي موقف معادي وبالمقابل تكشف عن نفسها ضمن النصوص التي يعالج فيها الفلاسفة مشكلات عصرهم التي تأخذ الشكل الطبيعي وما بعد طبيعي فلسفياً".³

¹ هبة الله أحمد خميس بسيوني، فلسفة العلاقات الدولية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية القاهرة، ط1، 2012، ص58.

² ريتشارد نيد ليبو، لماذا تتحارب الأمم؟ دوافع الحرب في الماضي والمستقبل، تر: إهاب عبد الرحيم علي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 403، أوت 2013، ص18.

³ رفقة رعد خليل، فلسفة الحرب، دار الروافد الثقافية ناشرون، ط1، بيروت لبنان، 2015، ص72.

ما يمكن استنتاجه أن الحرب بوصفها ظاهرة اجتماعية استثنائية تعلن عن وجودها منذ بدء الخليقة الكونية وفي مختلف الحقب الزمنية وعلى مر العصور الإنسانية، وهي المفارقة التي تعكس طبيعة التوافق أو الانسجام من عدمه، كما تعبر عن واقع الخلاف والعدوانية بين شعوب العالم.

"إذا كانت الحرب حسب تعبير كلاوزفيتز* امتدادا للسياسة بوسائل مختلفة، فإنها تعد نزاعا مسلحا بين طرفين أو أكثر، يهدف كل طرف متورط فيها حماية حقوقه ومصالحه في مواجهة الطرف الآخر، وفرض واقع جديد، تخوض غماره جيوشها النظامية لحل كل نزاع أخفقت فيه جميع المساعي الدبلوماسية لإيجاد تسوية سلمية له، إذ أن كل طرف يحاول فرض إرادته على الطرف الآخر".¹

هكذا، نلمس أن الحرب في مفهومها العام إنما تعبر عن ذلك العنف الذي يحتدم فيه الصراع بين طرفين أو عدة أطراف، فيحاول كل طرف إثبات ذاته وإعلان سيطرته وفرض قوته على الطرف الآخر، ويسعى جاهدا لحماية وجوده خوفا من زعزحته وسلب مكان القوة منه.

الواضح أن "الحرب في فقه القانون الدولي العام لا تقوم إلا بين أشخاص هذا القانون (الدول)، وتختلف عن تلك الحرب التي تقوم في إطار السيادة الوطنية والتي أطلق عليها الحرب الأهلية التي لا تخضع لقوانين وأنظمة غير أحكام القانون الجنائي، حيث اندلعت في الكثير من الدول مثل هذه الحروب الطائفية والعرقية... في حين أن الحرب التي تحصل بين الدول تخضع لقوانين وأنظمة وقواعد تتعلق بطرق القتال ومعاملة الأسرى، والجرحى والقتلى واحترام السكان المدنيين والمدن المفتوحة، وخطر استعمال الأسلحة المحرمة دوليا".²

بناءً على ما سبق، يمكن الإقرار بالتمظهرات والتجليات العديدة للحرب، من زاوية اعتبارها مفهوما يقوم على ذلك الصراع المشحون بالعنف والذي تمارسه الدول وتخضع لقوانين والأنظمة الدولية. "إن الحرب ما هي إلا تصادم بين المصالح الرئيسية،

* ولد كارل فون كلاوزفيتز: عام 1780 لأب يعمل ملازما في الجيش البروسي وفي سن الثانية عشر تحصل على رتبة في فوج المشاة (34) وتقلد مناصب عسكرية وهذا لم يمنعه من غزارة التأليف وأهم ما كتبه هو مؤلفه الشهير "فن الحرب"

¹ ناظم عبد الجاسور، موسوعة المصطلحات السياسية والفلسفية والدولية، دار النهضة العربية، ط1، بيروت لبنان، 2011، ص ص 250

² ناظم عبد الجاسور، موسوعة المصطلحات السياسية والفلسفية والدولية، ص 250.

يُختتم بإراقة الدماء وهي النقطة الوحيدة التي تختلف فيها عن باقي الصراعات الأخرى، وبديلا من مقارنتها بفن من الفنون يمكننا مقارنتها بشكل أكثر دقة بالتجارة التي تعد أيضا بمثابة صراع للمصالح والأنشطة البشرية، وهي لا تزال أقرب إلى السياسة التي تُعد بدورها نوعا من التجارة على نطاق أوسع.¹

ومن ثمة، فالحرب صراع من نوع خاص تؤدي إلى هلاك ودمار البشرية، حيث يرى كلاوزفيتز أنه لا يمكننا اعتبار الحرب على أنها فن من الفنون بقدر ما يجب علينا أن ننتعها بأنها أقرب إلى التجارة لأنها تعبر عن تعارض لمصالح البشرية وتؤدي إلى التناطح والتدمير كعامل يساهم في بلورتها.

الحرب العادلة: The just war

عادة ما تُقرن الحرب العادلة بالربط بين المعركة التي تستعمل فيها الأسلحة وبين تجسيد المعايير الأخلاقية والقيمية ممثلة في مبدأ الإنصاف، فيكون المبرر الأخلاقي قائما عند دعائها بحكم إعادة الصفاء الأخلاقي للقيم المنتهكة ومحاربة الشر المحض. "إن التبرير الأخلاقي للحرب هو في حماية الأبرياء من أذى معين بحسب ما يتجه إليه القديس أوغسطين في مدينة الله، وهو الكتاب الذي يُشكل مساهمة أساسية في مجال التنظير للحرب العادلة، إنه من الأفضل للمسيحي أن يعاني من الأذى على أن يسبب الأذى لغيره، لكن هل يطلب أو يسمح مسؤول أخلاقيا أن يلتزم نيابة عن أشخاص أبرياء آخرين بعدم الدفاع عن النفس؟ بالنسبة إلى أوغسطين وطبقا لتقاليد الحرب العادلة الجواب هو كلا، إذا ملك المرء إثباتات دامغة على أن هناك أناس أبرياء ليسو في وضع يسمح لهم بالدفاع عن أنفسهم، وأنهم سيتعرضون لخطر كبير مالم تستخدم قوة الإكراه لوقف المعتدي عندما يستدعي المبدأ الأخلاقي القاضي بمحبة الجار تدخلنا بقوة."²

لا يمكننا إذن، أن نفهم الحرب العادلة في نظر القديس أوغسطين إلا انطلاقا من ذلك التمثيل أو التشبيه بالأثر العدواني الذي يقع على المعتدي الضعيف والذي لا يستطيع أن يرد الاعتداء عن نفسه، وعليه من الواجب التدخل وإن لزم الأمر استعمال القوة والعنف والإكراه، ذلك هو حال الحرب العادلة فإنما تنشأ رغبة في رفع الظلم وتحقيق العدالة التي لطالما ناشدها والفيلسوف والقديس والرجل السياسي.

1 كلاوزفيتز، فن الحرب، ياسر شعبان، كنوز للنشر والتوزيع، دط، القاهرة، 2014، ص 52.

2 ناظم عبد الجاسور، موسوعة المصطلحات السياسية والفلسفية والدولية، ص 250.

"يرى مايكل والزر بأن مبادئ الحرب العادلة تدخل ضمن نطاق الحرب العادلة والتي تم الإجماع عليها وفق تحديد المبادئ الرسمية التي تبرر القيام بالحرب، فهذه الأخيرة تعتبر عادلة عندما تكون هناك قضية عادلة لإطلاق العنان لها تعلن عنها سلطة مختصة".¹

ينطلق والزر في تعريفه للحرب العادلة على أنها حرب تتم وفق الاجتماع المشترك، وهي لا تنشأ بفعل اعتباطي وإنما وفق مبادئ قانونية تبيح قيامها بالإضافة إلى اقترانها بالدفاع عن قضية عادلة، ولا يمكن مقارنتها بأي حال من الأحوال بتلك الحروب الهمجية التي تنشأ عبثاً ودون مبررات وفق أهواء ورغبات قد تكون شخصية ووهمية وذات صفة لا أخلاقية، فالحرب العادلة لا بد لها أن تنطوي على أسباب واضحة وتعلن عن تحقيق أهداف معلنة.

الحرب العادلة: في أسباب ودوافع العنف المقنن

"إن دراسة الحروب بين الدول لاتزال مهمة لأسباب إنسانية وفكرية وكلمنا علمنا أسباب الحروب نكون أقدر على تصميم الاستراتيجيات وبناء المؤسسات اللازمة لتقليل احتمال وقوعها. طرح علماء العلاقات الدولية عددا من الأسباب المختلفة، لكنها تازرية عموماً لتراجع وتيرة الحرب على المديين القصير والطويل، وتشمل هذه الأسباب التنمية الاقتصادية، وتزايد القوة التدميرية للحرب، وانتشار الديمقراطية ونمو التجارة والاعتماد المتبادل بين الاقتصاديات المتقدمة والمؤسسات والأعراف الدولية، والاشتمال الواسع النطاق من الحرب كممارسة".²

إن البحث عن أسباب الحروب يشكل ضرورة إنسانية تُفضي إلى الكشف عن العديد من الخبايا العالقة، فالعلم بهذه الأسباب يخفف من وطئها ويفضي إلى فهم معمق بأسبابها بما يمكن من تفادي الكثير من التعقيدات والصعوبات حيالها، كما أنها قد تؤدي إلى إدراك الطرق الكفيلة بتفادي حروب مشابهة، فالإنسانية ونظراً لمعاناتها جراء حربين عالميتين جعلها تدرك حجم خطورة الحروب على الإنسانية، لذلك فإنها تعزز على الدوام تلك الإرهاسات التي تحذرنا من وقوع حرب عالمية ثالثة والتي وإن وقعت يكون دمار وفناء الكون ككل، وعليه فهي تلجأ إلى الحصول على تبريرات وتفسيرات مقنعة حتى تكون هناك حروباً عادلة -* لا حروباً عشوائية واعتباطية.

¹ Michela Marzanol, Ethique Appliquée, faculté SHS, Université de Sorbonne, Paris, p76.

² ريتشارد نيد ليبو، لماذا تتحارب الأمم؟ دوافع الحرب في الماضي والمستقبل، ص15.

"إن التطور البشري وسيرورة الحضارة الإنسانية تدفعان الإنسان رغما عنه إلى الديمقراطية التي تعني العقل والإقناع والسلم، ويُشير إلى أنه وبحسب هذه الرؤية للتاريخ فقد أعلنت موت الحرب مع أول تفجير نووي، فالكبار لم يعودوا قادرين على الحرب ولكهم يستغلون جهل الجاهلين ويستثمرون جهلهم ببيعهم الأسلحة لأن الحروب قرايين البشرية، والقتل لم يكن يوما حلا للمشكلة بل هو مفاقمة لأي مشكلة كما يعلمنا درس التاريخ".¹

يبدو أن الحرب في سيرورتها التاريخية تجسدت بمختلف أوجهها سواء كحروب عالمية أو إقليمية أهلية أو حتى دينية، ذلك لأن الإنسان مارس القتل بوحشية وهمجية، واستخدم لذلك الوسائل الحربية الأكثر بشاعة، بالإضافة إلى أنه خلق بؤر الفتن وأجج الصراعات، زيادة على الاستخدامات التقنية للوسائل الحربية المتطورة، مما أدى إلى تصاعد حدة تفاقم الآثار السلبية للحروب. بيد أن محاولتنا ضمن هذا الموضوع لا تتباعد عن رغبة حثيثة في فهم التساؤل التالي: كيف لنا أن نقنع أنفسنا بأننا أمام حروب عادلة؟ هل يتعلق الأمر بمصطلح وجد حضوره نتيجة التجليات السلبية لتلك الحروب الهمجية والعدوانية التي تكبدت الإنسانية عناءها؟

بناءً على ما سبق، يرى برتراند راسل "بأن الهدف النهائي للحرب هو تحقيق مصلحة معينة يستهدف المتحاربون تحقيقا إذا قد نتصور للوهلة الأولى أن هذه المصلحة أو تلك هي الدافع الوحيد إلى الحرب، في حين أن الحقيقة بعيدة كل البعد عن ذلك، حيث أن هناك أسباب دفينية في وجدان الناس تدفعهم إلى شن الحرب وهذه الأسباب الدفينية هي التي يطلق عليها راسل اسم دوافع الحرب".²

للحرب أسباب عديدة قد يحصرها البعض في تحقيق مصلحة أو هدف ما لكن في حقيقة الأمر نجد أن أسباب الحرب عديدة، وقد اعتبر راسل أن وراء الحرب أسباب قد تصل حد الأسباب الوجدانية الذاتية المرتبطة بدواخل النفس الإنسانية التي تنزع في سياقات عديدة إلى الشرور والعدوان.

"وبما أن الحرب استمرار للسياسة وخادمة لها، فهذا يعني أن هناك حروب تنبع عن هدف سياسي يُنعت بالعدل وتحاول خدمته؛ بما يعرف بالحروب العادلة،

¹ مروة كريدية، مرجع سبق ذكره، ص 176.

² نصار محمد عبد الله، فلسفة برتراند راسل السياسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987، ص 101.

وأخرى عن هدف سياسي جائر تحاول تحقيقه؛ وهي الحروب الجائرة. الحروب الأولى شرعية مطلوبة وينبغي دعمها بشتى الطرق الممكنة والثانية غير شرعية مذمومة ينبغي مواجهتها وفضحها وبما أن المجتمع الرأسمالي ينقسم الى طبقة برجوازية مستغلة وبروليتاريا حاملة لواء التحرر والعدل والمساواة، فإن الحروب الأولى حروب جائرة بينما الحروب الثانية حروب عادلة.¹

وفي السياق نفسه، تُعتبر الماركسية الحرب تعبيرا عن مصالح طبقة البروليتاريا، وفي الغالب ترى بأنها تجسد رغبتهم في تحقيق العدل والمساواة في وجه البرجوازية، فيكون للرغبة في تحقيق العدل سببا رئيسا لتكون الحرب عادلة بالمنطق الذي رى في البورجوازية والملكية الخاصة مصدرا لكل الشرور، طالما أن الأمر يتعلق بحقوق الضعفاء، وهو المنطق الذي يجد قبولا ورفضاً بحسب المنطلقات والخلفيات المعرفية.

جدل التهديد النووي بين القبول والرفض:

لا شك أن التهديد بالحرب النووية أمر ملازم لكل الحروب الفتاكة، وهذا ما يُفسره السعي الحثيث لمختلف الحكومات والجيوش لامتلاك السلاح النووي بغرض تحقيق السبق والتفرد العسكري، وبالنظر إلى ما تعرفه البشرية في "الوقت الراهن لما يسمى بالنزوع التخريبي، وهو أساس كل مظاهر النزاعات والحروب بما يتضمنه من هدم لقيم الإنسان وتهديد لوجوده في ذاته، ومن ذلك شبح التهديد بالحروب النووية أو الكيميائية أو البيولوجية، هذا الشبح الذي يبقى مسلطا على رقاب البشر دائما، إذا لم يتم السعي إلى التخلص من كل أسلحة الدمار الشامل".²

لنتأمل في الواقع الراهن بشأن هذا الموضوع، أي التسابق المتسارع نحو التسليح النووي وما يخلفه من أضرار تمتد إلى قرون لاحقة مثلما حدث في التفجير النووي الذي شنته الولايات المتحدة الأمريكية على المدينتين اليابانيتين هيروشيما وناجازاكي والذي زامن نهاية الحرب العالمية الثانية تحديدا في أغسطس 1945. وبالمقابل فإن سعي الحكومات والمجتمعات لامتلاك السلاح النووي قد يجد مبررا له في غياب ثقافة السلام ومن ثمة سعي قوى الشر إلى بحث الخوف والشر. ليتعلق الأمر في ضرورة إيجاد جو سلام عالمي، وفي أدنى الحدود وضع أسانيد أخلاقية لامتلاك

¹ زهير اليعكوبي، الحرب مقارنة فلسفية سياسية، منشورات الضفاف، ط1، بيروت، 2016، ص 70-71.

² سمير بلكفي، التفكير مع كائنت ضد كائنت، منشورات الضفاف، ط1، بيروت، ص 119.

السلاح النووي مع رغبة حثيثة للتخلص منه في مقام آخر، وهي الثنائية التي تجد تبريرها في واقع الحياة الإنسانية خصوصا العلاقات بين الدول من زاوية الواقع والمأمول.

فمن زاوية الواقع الدولي (من الدولة) يقول شعبان احمد بهاء الدين: "لقد قامت إسرائيل خلال السنوات الأخيرة بتحديث وتطوير الأسلحة الكيميائية والبيولوجية في ترسانتها، فشيدت مصانع للغازات الحربية والسموم، ليبقى الهدف الأساسي من وراء كل هذه الإجراءات هو تجهيز الأسلحة الكيميائية والبيولوجية لاستخدامها العملي في ساحات القتال، وإعدادها لمواجهة الحروب الحديثة بكل مستجداتها التكنولوجية لخوض معارك تستخدم فيها هذه الأسلحة الفتاكة".¹

إنه من الملاحظ أن العديد من الدول لجأت إلى تصنيع الأسلحة ومحاولة الحصول على تقنيات حربية جديدة وعصرية تتماشى وطبيعة الحروب المعاصرة، بالرغم من التحذيرات الدولية للعديد من المنظمات المناهضة للتسلح النووي، ولكن ذلك لم ينقص من عزيمة دولة معروفة في مجال التسليح النووي على غرار إسرائيل، وإنما دفعها إلى مواصلة ذلك دون أن تولي أهمية للعديد من القرارات الدولية.

إن السعي لتطوير السلاح النووي لم يكن على الدوام محل ترحيب وتشجيع، فقد "ساد جدل اجتماعي واسع في أوروبا عامة، وبريطانيا وفرنسا خاصة، لأجل عرقلة الأبحاث في مجال تطوير الحرب الكيميائية، وكانت الاتجاهات المتضاربة داخل الأوساط العلمية والمؤسسات العسكرية تتبلور من منظور أخلاقي، وآخر عسكري صرف، من جهة أخرى شن المتحمسون لاستخدام الغازات السامة، كالسلاح الكيميائي، حملة تثقيف الرأي العام تدعو إلى مزيد من البحث والاكتشاف والتطوير لمثل هذه الأسلحة الفتاكة".²

إن معضلة التسليح النووي غير قابلة للفصل النهائي من زاوية تحديد موقف أخير إزاءها، إذ ثمة فريق يدعو إلى التنديد باستخداماتها المدمرة وبالمقابل هناك فريق آخر يرى بضرورة المطالبة بالحصول على التسليح النووي مرفوقا بالقيام بعملية توعوية للشعوب بأهمية اكتساب مختلف التقنيات الخاصة بالتسليح النووي

¹ أحمد بهاء الدين شعبان، العلم والسيطرة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة مصر، 2015، ص ص 186-187

² عبد الكاظم العبودي، أخلاقيات البحث العلمي البيولوجيا وأسلحة الدمار الشامل نموذجين، إشراف البخاري حمانه، ج2، جامعة وهران الجزائر، 2010، ص 441

والكيميائي، لنجد أنفسنا في نهاية المطاف إزاء مفارقة يصعب إيجاد حل نهائي إزاءها، فنقرر في صمت بأنها طبيعة الإنسان المتناقضة والمتعارضة والتي تحاول الدخول في متاهات الخطر بالرغم من النتائج السلبية التي قد تقع إن أبدت خوض غمار التحدي المشؤوم.

إيتيقا السلام الكوني بشروحات كانطية:

هكذا يظل السلام هو النقيض للحرب كما انه المطمح الأساس للحياة الاجتماعية السعيدة القائمة على الاستقرار. بيد أنه ليس سلاما بمنطق الاستسلام والخضوع وإنما سلاما ذا حكمة عملية إنسانية برؤية كانطية تتأسس على الواجب الأخلاقي بمعناه الإنساني الخَيْر، بالمنطق الذي يهدف إلى تجسيد عالم إنساني يخلو من صراعات العنف والحروب الإجرامية وفق نظرة اتيقية وقانونية. فعن أي سلام يحدثنا الفكر الكانطي؟

"يظل تحقيق السلام الهدف الأسوى للدول نظرا لما يعتقده البعض بأن الدول تسعى لكي تتصرف في علاقاتها الخارجية طبقا لنفس المبادئ الأخلاقية التي تدفع الأفراد في التصرف، فإن ذلك يجعلها تقتنع بأن لها مصلحة مشتركة وشاملة؛ تقوم على أساس إقامة السلام بواسطة مؤسسات دولية".¹

إن البعد الحضاري والإنساني للإنسان يجعله يتوق الى تحقيق مبادئ اتيقية، انطلاقا من الاقتناع ببناء نموذج حياة راقية تنأى عن التهور أو من فعل الجهل أو قلة الوعي وسوء التقدير، لندرك اليوم بأن الطبيعة الإنسانية في عمقها ترفض العنف كنوع من الرقي الحضاري والفكري انطلاقا من المطالبة بنشر مبادئ السلام الكوني الذي نلتمس طريقه إلى الخلاص من عنف الحروب وشروها، على الرغم من إمكانية القول "بأننا ككائنات مازلنا نمارس العنف ونعتمد أساليب عاجزة عن حل صراعاتنا المزعومة وأن الأوضاع المتفاقمة تضعنا أمام خيار جديد مغاير للمقبول المتعارف عليه في حل النزاعات، فهناك حاجة إنسانية حقيقية لإحداث نقلة نوعية نغادر بموجبها مستوى الواقع العنفي المستمر الى مستوى إنساني، فالإنسان هو محور التغيير وتحقيق حريته هو السبيل إلى السلام".²

إن من يصنع الحروب في عالم اليوم هو نفسه من يدعو إلى السلام؛ إنه الإنسان فوحده من يرسم لوحات العنف على جدار الكون برمته لكنه في الواجهة

¹ هبة الله أحمد خميس بسيوني، فلسفة العلاقات الدولية، ص49.

² مروة كريدية، رهانات السلام، ص66.

الأخرى يحاول أن يمحو هذه العتمة السوداء من ظلمة العنف ويلون جداره ببريق ألوان الفرح والسرور لنجده يمجّد السلام ويدعوله ويقيم اللوائح ويدوّن القرارات في ذلك، لا شيء سوى لأنه يدرك أن السلام قيمة أسمى مرتبطة بقيم ترستندنتالية كالكرامة والعدالة والحرية... لا بد من تحقيقها وفق نوااميس الحياة الإنسانية.

"إذا كانت الحرب هي النتيجة الطبيعية للتعصب والقهر والسيطرة فإن هدف كانط هو أخذ الإنسانية إلى غايتها الكونية، وهي تحقيق سلام كوني - أبدي- على اعتبار أن السلام ثمرة للنهج القانوني على الصعيد الداخلي للدولة ثم على الصعيد الخارجي (العلاقات بين الدول). إن السلام فيما يقول كانط الذي ينبغي أن يعقب ما يسمى خطأ حتى الآن بمعاهدات الصلح، وهي في الحقيقة اتفاقيات هدنة ليس فكرة جوفاء ولا بد من الأمل بأن الفترات الزمنية التي تستغرقها هذه الخطوات الصاعدة باتجاه السلام الدائم تسارع أكثر فأكثر".¹

ضمن السياق نفسه يرى كانط بأنه من الضروري أن نعيد الإنسانية إلى طبيعتها وغايتها الكونية وهي تحقيق السلام الكوني ونبذ العنف والحرب التي تعتبر نوعاً من التهديد للغاية التي وجد من أجلها هذا الإنسان في كنف هذا الوجود، ولن يتحقق ذلك إذا لم يتجسد هذا السلام على المستوى الداخلي للدول، ومن ثم ينطلق إلى سلام كوني بين جميع دول العالم.

إن مدنية الإنسان وطبيعته الاجتماعية تجعل من الضروري أن ينظم المجتمع نفسه بالشكل الذي يمكن كل فرد من ممارسة حريته وتفعيل وجوده، "لكن الحرية ستبقى مهددة مهما بلغ التنظيم مبلغه، لأن العالم ليس حكومة واحدة أو أمة واحدة، وبما أن بعض هذه الأمم لازالت تستعمل الإكراه في العلاقات مع غيرها، وعليه كانت قوانين الشعوب ومعاهدات السلام فيصلا في تحديد استراتيجيات الأمن".²

بديهي أن يتفطن الفكر الكانطي إلى أن السلام ليس هين التحقيق ولكن تدفعه العديد من الدوافع ليتحقق على أرض الواقع، الأمر الذي يقتضي وضع تشريعات وقوانين دولية تلزم الأفراد الأخذ بها حتى نضمن تحقيق سلام كوني يأخذ على عاتقه تحقيق الأمن والحرية لجميع الأفراد دون تمييز أو عنصرية، وحتى يتأكد

¹ سمير بلكفيف التفكير، مع كانط ضد كانط، مرجع سبق ذكره، ص 127.
² علي عيود المحمداوي، الفلسفة السياسية، منشورات الضفاف، بيروت لبنان، ط 1، 2015، ص 164.

المجتمع الإنساني بأنه سوف لن يعود أدراجه إلى عصور غابرة، أي بخطوات للوراء إلى ذلك التاريخ الهمني عبر حروبه الدامية والفتاكة.

خاتمة:

ختاما، يمكن القول بأن إنسان اليوم يعيش في كنف فروقات متضاربة في جدلية عميقة التباين، فالبشر في تصارع مع بعضهم البعض نظرا لاعتقاداتهم واختلافاتهم وخلافاتهم الدينية والعنصرية والسياسية... حيث بدت الإنسانية اليوم تعيش إزاء هذه الاضطرابات والفتن والقلق والحروب تنامي وتيرة العنف في جميع أصقاع الكون، مما يتوجب إعلان حالة طوارئ عن خطر دمار وانهيار كوني إذا لم تتضافر الجهود الإنسانية لتفادي حرب كونية شاملة، ببث أخلاقيات تجعل من عالمنا آمنا من هذه التوترات وذلك بتقييد وتحجيم الحروب وكذا التهديدات النووية تماشيا مع القوانين الدولية والإنسانية التي ينبغي أن تخدم الإنسان بغض النظر عن جنسه، لونه أو معتقده...

المراجع:

- 1/ العبودي عبد الكاظم، أخلاقيات البحث العلمي: البيولوجيا وأسلحة الدمار الشامل نموذجين، إشراف البخاري حماته، جامعة وهران الجزائر، 2010.
- 2/ اليعكوبي زهير، الحرب مقارنة فلسفية سياسية، منشورات ضفاف والاختلاف، بيروت والجزائر، ط1، 2016.
- 3/ بسيوني هبة الله أحمد خميس، فلسفة العلاقات الدولية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2012.
- 4/ بلكفييف سمير، التفكير مع كانط ضد كانط، منشورات ضفاف والاختلاف، بيروت والجزائر ط1، 2014.
- 5/ رفقة رعد خليل، فلسفة الحرب، دار الروافد الثقافية ناشرون، بيروت، ط1، 2015.
- 6/ شعبان أحمد بهاء الدين، العلم والسيطرة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2015.
- 7/ ناظم عبد الجاسور، موسوعة المصطلحات السياسية والفلسفية والدولية، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 2011.
- 8/ نصار محمد عبد الله، فلسفة برتراند راسل السياسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987.
- 9/ نيد ليبو ريتشارد، لماذا تتحارب الأمم؟ دوافع الحرب في الماضي والمستقبل، تر: إيهاب عبد الرحيم علي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 403، أوت 2013.
- 10/ كريدية مروة، رهانات السلام أسئلة العنف وأفاق الكون، دار العين للنشر، ط1، القاهرة، 2016.
- 11/ كلاوزفيتز كارل فون، فن الحرب، تر: ياسر شعبان، كنوز للنشر والتوزيع، دط، القاهرة، 2014.
- 12 Michela Marzanol, Ethique Appliquée, Faculté SHS, Sorbonne, Université de Paris.